

أضواء البيان

@ 18 @ الأسماء رَضَ فِي يَوْمِ مَيْتِنَ وَتَجْعَلُونَهُ لَهْ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاثًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْشَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْأَشْيَاءِ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَسْمَاءِ رُضِ انْزِعِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمٍ مَيْتِنَ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا . .

قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى السَّيْلَ النُّهَارِ } . . هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } ونحو ذلك . أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة ، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن ذلك كله وإِجل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح ، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال ، وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين : .

أحدهما : تنزيهه إجل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً . .

والثاني : الإيمان بكل ما وصف إجل به نفسه في كتابه ، أو وصفه به رسوله صلى إجل عليه وسلم . لأنه لا يصف إجل أعلم بما إجل من إجل { أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ } ، ولا يصف إجل بعد إجل أعلم بما إجل من رسول إجل صلى إجل عليه وسلم الذي قال فيه : { وَمَا يَنْطَرِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } فمن نفى عن إجل وصفاً أثبتته لنفسه في كتابه العزيز ، أو أثبتته له رسوله صلى إجل عليه وسلم زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بإجل وعلا ، فقد جعل نفسه أعلم من إجل ورسوله بما يليق بإجل وعلا . { سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } . .

ومن اعتقد أن وصف إجل يشابه صفات الخلق ، فهو مشبه ملحد ضال ، ومن أثبت إجل ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله صلى إجل عليه وسلم مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق ، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال ، والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل ، والآية التي أوضح إجل بها هذا . هي قوله تعالى : { جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لِيُبْدِيَ لَكُمْ سَخِمَاتِهِمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة

الحوادث بقوله : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله :
{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الإتيان
بصفات الكمال والجلال . .
والظاهر أن السر في تعبيره بقوله : { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } دون أن يقول
مثلاً :